الفصل السادس

إلى واشنطن وما بعدها:
الخوف من الإسلام باعتباره سياسة حكومة
To Washington and Beyond:
Islamophobia as Government Policy

تُعدُّ الغرفة ٣١١ في مبنى "كانون هاوس أوفيس" Cannon House Office Building مكاناً مهيباً، وتتميّز بسقف مقبَّب ذي تجاويف يُذكِّرنا بمدينة روما وبلاد الإغريق القديمة، ويرتفع السقف عالياً فوق سجادة خضراء داكنة من العصر الفيكتوري. كما تتدلَّى ثريا نادرة من أعلى الأقواس، مُسلطةً ضوءاً أصفر دافئاً على الجدران ذات اللون الأصفر الشاحب، وتعتلي الأجزاء العلوية للجدران عـدة شاشات تلفزيونية مسطَّحة -بشعة ولكنها تنازلات ضرورية في ظلِّ صراع بين الحفاظ على التقاليد وبين تبنّي الحداثة. ويُرى مقابل المنصة المهيبة المصنوعة من خشب الماهوغاني، والمُزيّنة بالنسور والرموز الأخرى للروعة الأمريكية، صورة لـ"أسطول التقدّم" Squadron of Evolution- وهو أسطول من سفن البحرية الأمريكية المُزوّدة بالصواري الكاملة والمحركات البخارية-وهي تُزيِّن قماش لوحة مائية عنوانها "السلام" للرسّام والتر لوفتهاوس دين Walter Lofthouse Dean.

obeikandl.com

وعلى الرغم من احتواء الغرفة على إشارات مرئية تذكِّر بالهدف النبيل للديمقراطية الأمريكية، إلاّ إنّها تتّسم بتاريخ بغيض. ففي أواخر شهر أكتوبر (تشرين الأول) من العام ١٩٦٧، قامت "لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاطات غير الأمريكية" (House Committee on Un-American Activities, HUAC) بشغل هذه الغرفة لعقد سلسلة من جلسات الاستماع الصاخبة التي تهدف لتحديد "المدى والطريقة" التي جرى بها "التخطيط، والتحريض، ودعم" أعمال الشغَب العِرقية، والنهب، وجرائم حرق الممتلكات في جميع أنحاء الولايات المتحدة "عن طريق المنظمات الشيوعية وغيرها من المنظمات التخريبية والأفراد"[1]. كما ضربت الاشتباكات العنيفة بين ضباط الشرطة العنصريين وسكان داخل المدن السود، الساخطين على فعالية تشريعات الحقوق المدنية وطغيان النخب الاجتماعية من السكان البيض، جميع أنحاء المدن الرئيسة. وفي مدينة ديترويت، أدَّت المواجهة الملتهبة بين الشرطة والمدنيين إلى سقوط ٤٣ قتيلاً، وما يقرب من خمسمائة جريح. كما أدَّت التوترات العرقية الحادة، وحوادث الاضطرابات المدنية المتواصلة إلى تكهن بعض الأفراد في الحكومة الأمريكية بأن المواقف الراديكالية التي اعتمدها مثيرو الشغب والنشطاء من أصول إفريقية تتماشى مع طموحات العدو الشيوعي[2]. وقد شكَّل اعتراض مارتن لوثر كينغ الابن Martin Luther King Jr. الصريح على حرب فيتنام هدفاً سهلاً للقوميين الجنوبيين البيض الذين وجدوا في حركته فرصة لنشر سياسات التفرقة العنصرية الخاصة بهم؛ وذلك من خلال وسم مثيري الشغب من الأمريكيين الأفارقة بأنهم أدوات تعمل لمصلحة موسكو. وقام ستروم ثورموند Strom Thurmond، سيناتور ولاية جنوب كارولاينا، بوصف كينغ بأنه "مثير الاضطرابات" و"الشيوعي الموثَّق"[3]. كما قام كارل بروسيان Karl Prussian، وهو عميل مكافحة تجسس لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي

FBI، بتأليف كتيِّبات جرى توزيعها في الجنوب السوفييتي "المتمرد" على أيدي "الحركة الشيوعية للحقوق المدنية"[4].

وقد أشرف النائب عن ولاية فيرجينيا ويليام تاك William Tuck على إدارة التحقيق الأولي الخاص بـ "لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاطات غير الأمريكية" HUAC، حيث أقرَّ "بحدوث أكثر من ١٠٠" عمل من أعمال الشغب في تلك السنة، وأشار إلى أنه في حين أدّى التمييز، ونقص الفرص التعليمية، والفقر دوراً ثانوياً في ذلك، إلاّ أنَّ أعمال إثارة الفتنة كان لها الدور الأبرز. وقد صرّح قائلاً أنَّ "أعمال الشغب قد جرى استخدامها عبر التاريخ لأغراض سياسية"، وأضاف قائلاً إنَّ أعمال الشغب: "كانت ولا تزال تُثار عمداً بهدف إضعاف وتقويض الحكومات القائمة، وبهدف تمهيد الطريق لإنشاء نوع جديد ومختلف للنظام الحكومي"[5]. كما أشار إلى أنَّه لا توجد هناك حاجة لمناقشة المشاكل الاجتماعية، إذ لا يوجد كثير من الوقت لمثل هذه التفاهة.

لقد كان إشراف النائب تاك على جلسات الاستماع أمراً شائكاً، حيث كان من المؤيّدين للتفرقة العنصرية في الجنوب، وقد أيّد بحماس "مقاومةً ضخمة"، وهي السياسة التي عرضها السيناتور عن ولاية فيرجينيا هاري بيرد Harry Byrd التي سعت إلى توحيد أعضاء الكونغرس والقادة السياسيين البيض؛ وذلك بهدف إظهار مقاومة هائلة لحكم المحكمة العليا في قضية براون ضد مجلس التعليم (*Brown vs. Board of Education*) الذي يقضي بإلغاء التمييز العنصري في المدارس العامة. ولكي يتجنّب الاندماج العرقي؛ قام السيناتور بيرد بالمساعدة في وضع مسوَّدة خطة ستانلي Stanley Plan، وهي عبارة عن سلسلة مؤلّفة من ١٣ تشريعاً عملت على تقديم حوافز للمدارس التي تَحدَّت الحكم الصادر عن المحكمة الفيدرالية، بالإضافة إلى تقديم

الحوافز لأولئك الذين تحمّلوا العواقب بسبب التزامهم بالخطّة، كما أنه حَضَرَ إلى لجنة التحقيق بذات الأجوبة التي سعى لأجلها. وقبل شهرين من انطلاق الجلسة الأولى، سلَّم تاك تقريراً إلى الكونغرس "يُشير بوضوح إلى أن الشيوعية و/أو غيرها من العناصر التخريبية" كانت نشطة "إلى درجة كبيرة" في أعمال شغب سابقة[6]، إلاّ أنّ التحقيق لم يتوقّف.

وكان مدَّعي مقاطعة لوس أنجلوس ووكيل مكتب التحقيقات الفيدرالي السابق إيفيل يانجَر Evelle Younger قد شهد أمام اللجنة أنَّ ٢٠ ٪ من مثيري الشغب كانوا من المحرِّضين على أعمال التخريب. كما صرَّح من دون ذكر أي دليل قائلاً إنّ "أولئك الذين يشكِّلون ٢٠ ٪ ممن يحرِّضون فعلاً على الشغب هم عنصريون، وحاقدون، ومتطرِّفون سياسيون، ومحرِّضون، ومجرمون مؤكَّدون". وعندما سُئِل عن كيفية مكافحة تلك الجماعات، أجاب يانجر قائلاً: "أولاً، يجب علينا أن نصرَّ أنَّه ينبغي على جميع الأمريكيين أن يُطيعوا جميع القوانين في جميع الأوقات، وانتهى الكلام. وينبغي عليهم ألاّ يُطيعوا القوانين التي يريدونها فقط، بل إنما جميع القوانين، وانتهى الكلام"[7]. وقد سُئِل شاهدٌ آخر بصراحة، وهو هيرمان دي ليرنر Herman D. Lerner، إذا كان قد وجد دليلاً على التخريب في أعمال الشغب، فأجاب "نعم"، وشرع في تقديم تعريفٍ لـكلمة "تخريب" تميّز بكونه شاملاً بحيث بدا أنّه يشمل كلَّ من شارك في أعمال الشغب. وأضاف قائلاً: "ليس [هناك] شك في وجود تخريب في أعمال الشغب التي حدثت في الآونة الأخيرة في المناطق المدنيّة، لأن أفعال كثير من مثيري الشغب – بصورة فردية وجماعية – هي في حد ذاتها تخريبية"[8]. أمّا كلارينس ميتشيل Clarence Mitchell، مديـر "الجمعيـة الوطنية لتقـدّم الشعـوب الملوَّنة" National Association for the Advancement of Colored People (NAACP) في واشنطن، فقد

رفض ذريعة مطاردة الساحرات، قائلاً إنه بالإضافة إلى إلقاء اللوم على كامل العرق الأسود بسبب عنف عدد قليل من الأشخاص، فإن "لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاطات غير الأمريكية" HUAC قد أقحمت السكان السود في جوٍّ الخوف الناجم عن الغضب من الشيوعيين، حيث اكتسب الذعر من الشيوعيين فجأة صبغة تتميّز بلون داكن. وأشار قائلاً: "أعتقد بأنّ الأمر يُعدُّ بمثابة الإهانة لملايين الناس الملوَّنين الملتزمين بالقانون عن طريق تحميلهم المسؤولية عن الدمار والعنف الرهيبين اللذين شهدناهما في بعض مدننا"، وأضاف قائلاً: إنَّ "الشيوعيين أبداً لم يُحرزوا أي تقدم كبير في تجنيد أتباع من الملوَّنين، كما أنهم لا يمتلكون أي أتباع أساسيين في هذه المرحلة"[9].

وفي العام ١٩٦٩ جرى تغيير اسم "لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاطات غير الأمريكية" HUAC لتصبح "لجنة الأمن الداخلي" Internal Security Committee، وفي وقت لاحق، وذلك في العام ١٩٧٥، جرى إلغاؤها بالكامل، إلاّ أنَّ الاصطياد السياسي للشيوعية لم يمت معها. أمّا الغرفة ٣١١ من مبنى كانون هاوس أوفيس، فقد جرى تدشينها لتكون مقرّاً لاجتماع زعماء الكونغرس ممن تساورهم الشكوك بأنَّ المواطنين الأمريكيين كانوا ينقلبون ضد وطنهم. وبعد أربعة وأربعين عاماً من إقحام الأمريكيين الأفارقة في دوامة من المخاوف من الشيوعية، حدثت هناك جولة سياسية أخرى.

* * *

استلقى بيتر كينغ Peter King في كرسي من الجلد البني وراء المنصَّة، وكان حاجباه الأسودان المعقودان (الثابتان بزوايا داخلية دائمة)، وفكُّه المقبوض ينبئ بخطورة المهمَّة التي جاء للقيام بها، كما كُتب على لوحته الاسميَّة "السيد كينغ، الرئيس". وبرزت المصابيح المتوهجة من عدد كبير من الكاميرات الموضوعة في جميع

أنحاء الغرفة بينما كان كينغ يُفتّش بين أوراق ملاحظاته. وبينما كان يجلس في مقعده المرتفِع، أخذ يُحدِّق بالحشد وهو مدرك تماماً أن المشهد الذي هو على وشك أن يترأّسه سوف يخلق ضجة.

وبعد أن ضرب المطرقة بقوة، أعلن كينغ "انعقاد لجنة الأمن الداخلي"، وذلك بلهجته الأجشة المعتادة الجامعة بين لهجة رجل نيويورك القوي، والرجل المرتخي ذي الستّين عاماً. وأشار كينغ قائلاً: "إنَّ جلسة اليوم ستكون الأولى في سلسلة من جلسات الاستماع التي تتعامل مع قضية تطرف الأمريكيين المسلمين الحرجة".

وإذا كانت لهجته قد بدت أخطر من المعتاد، فإن ذلك يعود لخطورة تحقيقاته. وقد حذَّر من أنّ الأمريكيين المسلمين لم يكونوا متعاونين مع المسؤولين عن إنفاذ القانون في سعيهم إلى استئصال المتطرفين المحتملين. كما تساءل إذا ما كان صمتهم يشير إلى نوع من التحالف مع قوى الشر التي تتآمر بهدف تنفيذ هجوم آخر على غرار أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وقد أعلن كينغ قائلاً: "بينما نقترب من الذكرى السنوية العاشرة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، فإنه لا يمكننا أن نسمح لذكريات ذلك اليوم المأساوي أن تتلاشى. ويجب أن نتذكَّر أنه في الأيام التالية للهجوم مباشرة، كنّا جميعاً متَّحدين في تفانينا في القتال ضد تنظيم القاعدة وأيديولوجيته". كما أضاف قائلاً: " واليوم، يجب أن ندرك تماماً أن التطرَّف الداخلي هو جزء من إستراتيجية تنظيم القاعدة في سعيه لمواصلة الهجوم على الولايات المتحدة. وأنّ تنظيم القاعدة ينشط في استهداف المجتمع الأمريكي المسلم بهدف تجنيده لذلك الأمر".

لقد كانت غرفة جلسات الاستماع ممتلئة، وكان الصحفيون، وقادة الكونغرس، والموظفون الشباب، والجماعات الدينية تتنافس للحصول على حيِّزٍ في أرجاء المكان

الضيّق. وقد اصطفَّ أمام مدخل الغرفة من الخارج مجموعة متلهّفة من المتفرَّجين الذين شكّلوا صفاً طويلاً وصل إلى إحدى الغرف الجانبية. وظهر وجه كينغ على شاشة التلفاز، الأمر الذي أثار الهمسات والقهقهات التي صدرت عن جمهور متيَّم ظاهرياً بالحصول على فرصة لمشاهدة مثل هذه المسرحية، التي بدت وكأنها إعادة لمرحلة أوقات الذروة التي حصل عليها أُناس من أمثال تاجر الخوف الشنيع جوزيف ماكارثي. وكان عدد قليل من لجان الكونغرس قد استطاع أن يجتذب مثل هذه الحشود.

وعلى الرغم أنّه بدا واضحاً أنّ ذلك هو مجال كينغ، إلاّ أنّه كان ببساطة يؤدّي دور المُحاور – أي المناقش الذي يبحث عن أدلة لتبرير حدسه أنَّ الوطن الذي يحبّه أصبح تحت الحصار من جهة قوّات تعمل في الداخل. وكان هناك خمسة ضيوف قد جلسوا خلف طاولة مستطيلة على بُعد أقدام فقط من محكِّمين من الكونغرس، وقد جرى استدعاؤهم عن طريق عضو الكونغرس عن نيويورك (بيتر كينغ)؛ بهدف تقديم الخبرات والحكايات التي من شأنها أن تضفي الشرعيَّة على شكوكه. وكان من بينهم النائب كيث إليسون Keith Ellison، وهو مشرِّع مسلم من ولاية مينيسوتا، وملفين بليدسو Melvin Bledsoe وعبد الرزاق بيهي Abdirizak Bihi، وهما من رجال الأعمال الذين كان يُعتقد أنّ أبناءهما قد اعتنقوا الإسلام وبعد فترة وجيزة أصبحوا يتبنّون اتجاهات تنطوي على العنف، وضابط الشرطة في محافظة لوس أنجلوس ليروي دي باكا Leroy D. Baca، حيث حَضروا بدعوة من الديمقراطيين في اللجنة بهدف تقديم حُجَّة مضادَّة.

وعلى أية حال، فقد كان الشاهد النجم في تشكيلة كينغ هو الدكتور محمد زهدي جاسر–وهو طبيب وسيم ولبق، يبلغ حوالي الأربعين من العمر من ولاية أريزونا–الذي أكسبته انتقاداته لإخوانه في الدِّين شعبية في بعض الأوساط المحافظة.

ولجعل القضية أمراً واقعاً؛ أشار جاسر إلى أنَّ "مسار التطرف الإسلامي في الولايات المتحدة على مدى العامين الماضيين يجعل من الصعب جداً على أي شخص أن يؤكد بجدِّية أنَّ المسلمين في أمريكا لا توجد لديهم مشكلة مع التطرّف"[10]. وكان جاسر يتمتع بسلوكيات هادئة وأسلوب حديث ما جعله يُعدُّ شاهداً موثوقاً، وذلك أكثر من أولئك المحرِّضين الحزبيّن من أمثال باميلا جيلير أو روبرت سبنسر. وقد كان "مسلماً صالحاً"، حيث استنكر بوضوح وبقوة عدداً من المبادئ الخاصة بعقيدته، معلناً أن توجّه الإسلام لدمج الدين والدولة جعل محاربة الأيديولوجيات المتطرِّفة أمراً صعباً في ظلِّ تبنّي أتباعه عموماً أيديولوجيات كهذه[11]. والأهم من ذلك، فقد كان من المحافظين الجيّدين، حيث كان يحمل البطاقة الخاصة بالجمهوريين، ويُفصح بفخر عن ولائه السياسي، ويدعم قضايا المرشحين الذين-وهم في عجلة من أمرهم لجعل الإسلام محوراً مركزياً لحملاتهم-حملوه عالياً تماماً مثل الرياضي الذي يرفع الكأس بعد تحقيقه لفوز صعب. لقد كان جاسر محبوباً للغاية لدى الحزب الجمهوري لدرجة أنّ زعيم الأقلية ميتش ماكونيل Mitch McConnell رشّحه في العام ٢٠١٠ ليكون عضواً في "اللجنة الاستشارية الأمريكية للدبلوماسية العامة" التابعة لوزارة الخارجية.

ويعود ظهور جاسر في تاريخ صناعة الخوف من الإسلام منذ انخراطه مع "صندوق كلاريون"، وهو الجماعة الاستيطانية اليمينية الإسرائيلية التي كانت وراء الفيلم المعادي للمسلمين الذي حمل عنوان "الهَوَس" *Obsession*. وفي العام ٢٠٠٨، قام منتج الفيلم رافائيل شور بمتابعة النجاح الذي حقّقه عن طريق إصدار فيلم آخر عنوانه "الجهاد الثالث" *Third Jihad*، وهو فيلم وثائقي مدَّته ٧٢ دقيقة، ويذخر، على غرار فيلم "الهَوَس"، بالصور المخيفة على شكل قصة تُحذِّر من "الجهاد الثقافي" المستمر في أمريكا. ويقوم جاسر-الذي خدم في المجلس الاستشاري لصندوق

كلاريون، بدور الراوي في الفيلم، حيث يُخبر المشاهدين بعد وقت قصير من ظهور مقاطع لأطفال قَضوا في أزمة الرهائن في مدرسة بيسلان عام ٢٠٠٤، أنّه هو أيضاً مسلم، مثل المفجِّرين الذين أودوا بحياة ما يقرب من أربعمائة أسير. وعلى أية حال، وخلافاً للإرهابيين، فقد أشار جاسر–وهو يمشي في ممرٍّ داخل عيادة طبّية ويحمل سمّاعة الطبيب وحافظة الأوراق–إلى أنّه قد "كرَّس حياته لمحاربة تهديد الإسلام المتطرّف"[12].

وغالباً ما كان منتقدو جاسر يشيرون إليه على أنّه "المسلم المفضَّل لدى جلين بيك"، حيث أصبح جاسر لاعباً أساسيّاً لشبكة فوكس نيوز، إذ كان يظهر بانتظام إلى جانب المعلِّقين المحافظين، ويُقدِّم دعمه لمصداقيتهم، ويثني عليهم بسبب انشغالهم بقضايا الإسلام المتطرِّف. وقد كان يعارض بشدّة مشروع إنشاء المركز الاجتماعي بارك ٥١، كما كان يدافع بحماس عن إسرائيل، وكان مستعداً لانتقاد السياسات المختلفة لإدارة أوباما عندما يُعطى الضوء الأخضر لذلك. وفي العام ٢٠١٠، ظهر جاسر في فيلم نيوت غينغريتش المعادي للمسلمين تحت عنوان "أمريكا في خطر: الحرب بدون اسم" *America At Risk: The War With No Name*، حيث ذكر أنَّ القيم المحافظة لعائلته "ليست محلَّ اهتمام" الإسلاميين مثل جماعة الإخوان المسلمين، الذين يأملون في "تطبيق الشريعة وتعزيز الإسلام السياسي والطابع الجماعي للحركة السياسية الإسلامية في أمريكا التي تتعارض مع الدستور ووثيقة الحقوق الخاصة بنا"[13].

وكان جاسر قد ساعد في ترويج الشائعات التي تضخَّمت فيما بعد لتتردد على ألسنة الجناح اليميني، حيث تشير إحداها إلى وجود وثيقة صاغها عضو مغمور في جماعة الإخوان المسلمين في التسعينيّات من القرن المنصرم، تُثبت أنَّ المسلمين الأمريكيين كانوا يُخطِّطون على نحو جماعي لمؤامرة تهدف لقلب قوانين الولايات المتحدة

وتثبيت دولة دينية إسلامية[14]، وقد تردّدت القصة ذاتها في جلسة استماع لـ كينغ. وذكر جاسر أنه بفضل الأحداث في الشرق الأوسط، وذلك في إشارة الى الثورات التي كانت تختمر في المنطقة، فإنّ "التهديد الذي تشكله جماعة الإخوان المسلمين للأمن في جميع أنحاء العالم قد أصبح في الصدارة"[15]. ويبدو مع ذلك أنّ شهادته لم تُحدث ذلك الفارق الكبير، إذ إنّ "مرض السرطان"، كما سمّاه-في محاولة لإقحام المفردات الطبية في القصة-قد انتشر في الجهاز المركزي للبلاد، وقال بشعور من الأسف: "لقد سلَّمنا الدستور إلى الجهاديين"[16].

* * *

أطلق الرئيس جورج دبليو بوش في أعقاب هجمات سبتمبر، ٢٠٠١ حملة ما سُمِّي "الحرب على الإرهاب"، التي كانت سبباً في التحريض على الخوف من الإسلام إلى درجة كبيرة، كما رسَّخت في أذهان اليمين السياسي الأمريكي وعامّة الناس على حد سواء الفكرة بأنّ البلدان ذات الأغلبية المسلمة-وليس أقلها العراق-تُعدُّ مشبوهة إن لم تكن خطرة فعلاً. وأعلن كينغ بوضوح في شهر أغسطس (آب)، ٢٠٠٦ أنّ "هذه الأمة [الولايات المتحدة] هي في حالة حرب مع الفاشيِّين الإسلاميين"[17]. وقد كانت واحدة من المناسبات القليلة منذ أن أعلن في العام ٢٠٠١ أنَّ الولايات المتحدة تنتهج "حملة صليبية" في الشرق الأوسط، حيث استخدم بوش خطاباً دينياً على نحو علني. وقد أدى هذا الحدث إلى قيام مُساعديه بالتشجيع على إبداء مزيد من ضبط النفس. وفي الواقع، بذل الرئيس جهداً كبيراً لتذكير الجمهور أن الحرب التي يخوضها لم تكن حرباً دينية. ومع ذلك، ومع انتهاء أشهر الصيف من العام ٢٠٠٦ ودخول أوائل فصل الخريف، وعندما بدأ الرأي العام ينقلب ضد الحزب الجمهوري، جاء ذلك التعليق ليُثير الحماس من جديد داخل صفوف الحزب الجمهوري. ومع التوجُّه إلى

انتخابات العام ٢٠٠٨، كان ذلك الأمر مهماً على نحو خاص، حيث تحدَّث عددٌ من السياسيّين مثل الإنجيلي المحافظ مايك هاكابي، ومحافظ مدينة نيويورك السابق رودي جولياني، والسيناتور عن ولاية أريزونا (ومرشح الحزب الجمهوري لاحقاً) جون ماكين عن الحرب الدائرة بين الأمريكيين و"المتطرفين الإسلاميين"، وبذلك؛ ساهموا في زيادة التعابير التي تربط على نحو دائم المسلمين والإسلام بالإرهاب. وقد سَخِر جولياني من فكرة أنَّ خصومه الديمقراطيين "لم يأتوا أبداً على ذكر كلمة 'إرهابي إسلامي'، أو 'متطرّف إسلامي'، أو 'إسلامي فاشي'، أو 'إرهابي'، أو أي من تلك التعابير المركّبة التي يمكن استخدامها، تلك الكلمات لم تُذكر قط"[18]. وأضاف قائلاً: "لا أستطيع أن أتخيل أننا نُهين أحداً عندما نذكر عبارة 'إرهابي إسلامي'. إننا لا نُهين أي شخص إن لم يكن إسلاميّاً أو إرهابيّاً". كما أنّ ماكين نفسه قد أرجع سباقه للرئاسة بسبب قلقه من "التطرف الإسلامي المتشدّد"، وهو موضوع سبق أن وصفه بأنّه التحدي المتزايد الذي تواجهه الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين[19].

لقد كانت الحملات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق تعني أنه سوف يكون هناك تيار مستمر من الأخبار السيئة بالنسبة للأمريكيين الذين–وعندما يتابعون نشرات الأخبار المسائية كل ليلة–سوف يعرفون عن أحدث تفجير انتحاري، أو انفجار أحد الألغام، أو أي هجوم آخر يؤدي إلى إزهاق أرواح الجنود. وقد أثار هذا الموقف أسئلة حول العلاقة بين "الحرب على الإرهاب" في الخارج وإمكانية وجود الإرهاب على الجبهة الداخلية. وإنَّ القول بأنَّ الولايات المتحدة هي في حالة حرب مع "الأشرار" في الخارج هو أمر واقع، إلا أنّ امتداد شبكتهم لتتجاوز الخطوط الأمامية لمناطق الحرب وإلى داخل الولايات المتحدة، يعد أمراً آخر. وتشير الرواية إلى أنّ العملاق العالمي الذي يهدِّد عشاق الحرية والرخاء يقوم على أيديولوجية الإرهاب

الذي لا حدود له، حيث يجري التذكير بأحداث الحادي عشر من سبتمبر على نحو متكرّر.

وبين إصرار بوش المتكرِّر على أنَّ الإسلام هو "دين السلام"، وخطاب التخويف من الإسلام الذي تميَّز به كثيرٌ من واضعي السياسات والقادة العسكريين في إدارته، بَرَزَ هناك فارق راسخ يرى أنَّ هناك "مسلمين صالحين" و"مسلمين أشراراً"، ويشير محمود ممداني إلى أنَّ الأمريكيين يتّجهون إلى التشكِّك من كلِّ المسلمين حتى تتوضَّح الأدوار:

> لقد اتَّجه الرئيس بوش للتمييز بين "المسلمين الصالحين" و" المسلمين الأشرار" ... حيث عدَّ أنّ "المسلمين الأشرار" مسؤولون عن الإرهاب على نحو واضح. وفي ذات الوقت، بدا الرئيس وهو يُطمئن الأمريكيين بأن "المسلمين الصالحين" حريصون على تبرئة ساحتهم وضمائرهم من هذه الجريمة البشعة، وأنّهم بلا شك "سيدعموننا" في حربنا ضدَّ "هم". ولكن هذا الخطاب لا يمكن أن يُخفي الرسالة الرئيسة: أي إذا لم يكن هناك ما يُثبت بأنهم "صالحون"، فإنَّ كل مسلم يجري تصنيفه على أنه من "الأشرار" ... كما أنّ الأحكام لمن هم "صالحون" ومن هم من "الأشرار" تشير إلى الهوية السياسية الإسلامية، وليس الهوية الثقافية أو الدينية[20].

وبعد ثماني سنوات من الدعاية الخطابية والتلفيق الصادر عن إدارة بوش، اتَّجه خليفته باراك أوباما إلى التخلي عن اللغة التي يمكن أن تبعث على الانقسام. وعلى الرغم من الابتعاد عن مصطلحات التخويف من الإسلام، إلا أنّ الضرر كان قد وَقَع. كما أنَّ الحرب على الإرهاب، والروابط التي جرى تصنيعها بين جميع المسلمين من جهة وبين التطرف من جهة أخرى بقيت داخل الجسم السياسي، لدرجة أن الكونغرس قد كلَّف بإجراء جلسة استماع للتحقيق في وجود محتمل لـ"الأشرار".

* * *

يُعدُّ الوصف الأفضل لعالم بيتر كينغ Peter King بأنه عالم ظهر مباشرة من صفحات رواية مثيرة ذات عناصر فنية متواضعة، إذ يوجد هناك الأشرار المعتادون- ومعظمهم من الأجانب أو ممن يتميزون بلكنة غليظة-وهم يخطِّطون لتنفيذ مؤامرة عنيفة ضد سكان لا حول لهم ولا قوة. ومن ثم يأتي بطل الرواية، الذي يُعدُّ نموذجاً للشخص القوي البنية، والمتواضع، والعقلاني الذي تؤدي جهوده اليقِظة إلى إفساد الخطة في اللحظة الأخيرة، وإنقاذ سكان البلدة من مخاطر كبيرة. ويُعدُّ شون كروس Sean Cross، وهو عضو الكونغرس من الأمريكيين الأيرلنديين من منطقة لونغ آيلاند، أحد الأمثلة على ذلك، حيث يقول: "أتمنى لو كنت جيمس بوند، ولكنني مجرد رسول"، وهي كلمات شون كروس بطل الرواية "وادي الدموع" *Vale of Tears*، وهي عمل من وحي الخيال للمؤلف كينغ الذي يُعدُّ أشبه بسيرة حياته الشخصية.

وبعد مصرع مئة شخص في سلسلة من التفجيرات التي هزَّت منطقتي لونغ آيلاند وبروكلين، يجد كروس نفسه مضطرّاً لتقفّي الفاعلين -أي الأمريكيين المسلمين- وإحباط الهجمات الأخرى التي يُعتقد أنها على الطريق. ويقوم كروس بمواجهة المصلّين في أحد المساجد المحليّة، ويحثّهم على الكشف عما يعرفونه عن خطط المشتبه به في تفجير قنبلة قذرة في المدينة. ولكن مثل المسلمين، يتحسَّر بيتر كينغ في جلسات الاستماع في الكونغرس، إذ يبدو أنَّ أولئك الذين يَشغلون مخيّلة بديله الخيالي هم أيضاً يخفون شيئاً ما. وقد كتب كينغ قائلاً: "لقد أصبح الأمر أكثر وضوحاً بالنسبة لـ كروس، وهو أنّ الأخوة، والمحبة، والتضامن تسير في اتجاه واحد-نحو المسلمين-ولا يُسترجع منه إلاّ الشيء القليل جدّاً". وبعد أن قام بمحاصرة مؤسِّس المركز الإسلامي في نهاية المطاف، قام المُشرِّع الذي تحوَّل إلى رجل شرطة بتوبيخه قائلاً: "المشكلة هي أن هناك تبايناً حيث يكمن الولاء المطلق لبعض الناس من مجتمعكم. كما أنّه بالإضافة إلى إدانة

الهجمات الإرهابية، فإنه ينبغي على أفراد مجتمعكم أن يتقدّموا خطوة إلى الأمام ويتعاونوا مع الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وبعبارة أخرى، عليكم القيام بتسليم أفراد مجتمعكم[21].

إنَّ قيام كينغ بتأليف قصة خيالية تتحدث عن جالية مسلمة في نيويورك تعمل على إيواء الإرهابيين وتعوق إنفاذ القانون؛ قد شكَّل هاجساً كان يجري التحضير له على مدى سنوات. وكان كينغ قد شاهد البنتاغون يحترق من نافذة مكتبه في واشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث أثَّرت هذه التجربة فيه كثيراً. وقد أشار حبيب أحمد- الذي يعمل تقنيّاً طبّياً ورئيس مجلس إدارة المركز الإسلامي في لونغ آيلاند في حيِّ كينغ-قائلاً: لقد "اعتاد (كينغ) أن يأتي إلى حفلات الزفاف التي كنا نقيمها، وكان يتناول العشاء في بيوتنا"، وأضاف قائلاً: "لقد تغيَّر كل شيء فجأة بعد أحداث ٩/١١، كما أنه يقوم الآن بعقد جلسات استماع لكي يقول إنَّ أناساً أمثالنا هم متطرفون متشدِّدون، وأنا لا أفهم هذا الأمر"[22]. وبسرعة، غطَّت صور الجنازات الخاصة بأنصاره، وصورٌ لجسر بروكلين والدخان يتصاعد منه، كلَّ شبر من مساحة الجدار في مكتبه في كابيتول هيل Capitol Hill. وكان هناك قبعة لرياضة كرة القاعدة (البيسبول)، وقد كُتب عليها عبارة "البارجة USS نيويورك، لا تنسَ أبداً"، بالإضافة إلى وجود أنواع من الزينة الأخرى التي تُذكِّر بالمأساة وقد ملأت رفوف مكتبته، وقال "إذا سألتموني عن رأيي حيال ذهابي إلى العمل كل يوم، فإنّ السبب هو مأساة ٩/١١ ومن أجل منع مأساة أخرى على غرار ٩/١١، إذ هناك الكثير من الناس الذين أعرفهم"[23].

لقد كان كينغ يرى الإرهابيين المسلمين في كل مكان، فقد كان مُشرّع القانون الجمهوري البالغ من العمر ٦٧ عاماً منهمكاً جدّاً بهذا الموضوع، لدرجة أنَّه جعل منه

موضوعاً ترفيهيّاً وإجراءً تشريعيّاً. وقد كان اهتمامه بمحاربة المخرِّبين المنخرطين بموضوع الشريعة قد ملأ صفحات قصة مثيرة تتألف من ٣٢٠ صفحة، بالإضافة إلى تقريرٍ لجلسة استماع. وقد أشار ذات مرة وهو يقول: "هذا هو الأمر الذي أركِّز عليه جُلَّ اهتمامي"[24].

وقد كان هناك مفارقة كبيرة عندما تبوّء كينغ منصب رئيس لجنة مجلس النواب الخاصة بالأمن الداخلي وتحقيقاته اللاحقة المتعلِّقة بالدعم المحلِّي للجماعات الإرهابية. ويتركَّز هذا الأمر في علاقة كان كينغ قد رعاها على مدى ثلاثين عاماً مع الجيش الجمهوري الإيرلندي (IRA)، وهو عبارة عن مجموعة صغيرة نسبياً ولكنها عنيفة من المسلحين الذين دخلوا في حرب استمرّت على مدى ثلاثة عقود ضد البريطانيين في إيرلندا الشمالية. وقد كانت الحرب دموية جدّاً، بحيث أصبحت المجموعة واحدة من المنظمات الإرهابية الأكثر إثارة للرعب في الغرب في ذلك الوقت.

وكان حوالي ١٨٠٠ شخص قد لقوا مصرعهم على أيدي الجيش الجمهوري الإيرلندي (IRA) بين عامي ١٩٧١ و٢٠٠٥، وأشار الصحفي إد مولوني Ed Moloney إلى أنّ عدد القتلى يعادل ٣٦٠,٠٠٠ في الولايات المتحدة. وكتب مولوني قائلاً إنّ المجموعة قد "قامت بإدخال مفهوم السيارات المفخّخة لتصبح السلاح الإرهابي الحديث في الوقت الراهن، كما أتقنت صناعة المتفجّرات محلية الصنع باستخدام الأسمدة من النوع الذي يستخدمه الجهاديون اليوم على نحو روتيني في جميع أنحاء العالم". وقد تراوحت هجماتهم من محاولة اغتيال مارغريت تاتشر، عندما كانت رئيسة للوزراء في المملكة المتحدة، إلى ما يُعرف بـ "الجمعة السوداء"، وهي سلسلة تألّفت من ٢٢ انفجاراً موقوتاً انتشرت شظاياها في جميع أنحاء مدينة بلفاست Belfast ما أسفر عن مقتل تسعة أشخاص وتشويه نحو مئة وثلاثين آخرين. وفي أحد الاعتداءات

البارزة والمروِّعة، قام عناصر من الجيش الجمهوري الإيرلندي سرّاً بزرع قنبلة تزن ٥٠ رطلاً ويجري التحكّم بها بجهاز لا سلكي على متن قارب يعود لـ اللورد لويس ماونتباتن Lord Louis Mountbatten ، ابن عمِّ ملكة إنجلترا. وفي شهر أغسطس(آب) من العام ١٩٧٩، وبمجرّد أن غادر رصيف الميناء وهو في طريقه إلى البقعة المفضلة لصيد سمك التونة قبالة الساحل الغربي لإيرلندا، انفجرت القنبلة ما أدّى إلى تحويله هو وقارب الصيد الخشبي بحجم ٣٠ قدماً إلى قطع صغيرة.

وكان كينغ خلال زياراته إلى إيرلندا يتردد على بيوت قادة معروفين في الجيش الجمهوري الإيرلندي، كما كان يشارك في الكثير من المناسبات الاجتماعية الخاصة بهذه الجماعة، بما في ذلك زيارة إلى نادٍ للشراب استضافته مجموعة فرعية من المحاربين القدامى من الإرهابين الذين قضوا أحكاماً في السجون. وقد أثار ارتباطه بتلك المجموعات المختلفة قلق ضباط المخابرات البريطانية ما جعله في نهاية المطاف شخصاً يقع ضمن دائرة اهتمامهم. وفي إحدى المناسبات، قام أحد القضاة في مدينة بلفاست بطرد كينغ من قاعة المحكمة أثناء محاكمة لجريمة قتل واصفاً إياه بأنه "متعاون مع الجيش الجمهوري الإيرلندي". وعلى نحو مماثل، فقد قامت الشرطة السرّية في الولايات المتحدة الأمريكية بإدراج اسم كينغ ضمن قائمة أولئك الذين يُشكِّلون تهديداً أمنيّاً، وذلك في العام ١٩٨٤ عندما سافر الرئيس رونالد ريغان لحضور الأولمبياد الخاص في حلبة سباق الخيل الخاصة برجل الكونغرس في لونغ آيلاند.

لقد استخدم كينغ علاقاته الحقيقية مع الجيش الجمهوري الإيرلندي لتكون جزءاً من تأمُّلاته الأدبية. وكان يسعى من وراء ذلك إلى تبديد الشكوك حول ماضيه من خلال شخصياته الأدبية، إذ يقوم بتصوير شخصية البديل عنه -الذي يُدعى شون كروس- على أنّه السياسي اليقِظ دائماً الذي يواجه هو أيضاً استفسارات حول دعمه

للقوات الإيرلندية شبه العسكرية. وقد قام كروس في عصر أحد الأيام بمواجهة القائمين على المسجد في منطقة لونغ آيلاند متّهماً إياهم بعدم التعاون في موضوع مطاردة الإرهابيين. لقد كان نفاقه واضحاً تماماً عندما دفع أحد الأشخاص ليردَّ عليه بحدَّة قائلاً: "مع كلّ احترامي لك يا رجل الكونغرس، فإنني أذكر بوضوح جميع الخطب التي قمت بإلقائها حيال الطريقة التي انتهجها البريطانيون في اضطهادهم للإيرلنديين في إيرلندا الشمالية". إلاّ أنّ كروس ردَّ عليه بسرعة قائلاً: "مع كل احترامي لك يا دكتور، إذا قام الجيش الجمهوري الإيرلندي بمهاجمة الأمريكيين في أي لحظة، فإنني سأتبرَّأ منهم في ثوان، وكنت سأنتظر وقتاً طويلاً قبل أن أبدأ الحديث حول ما كان يجري في إيرلندا الشمالية"[25]. لقد كانت تلك الحالة تتعلق بقضية الإرهاب الإيجابي مقابل الإرهاب السلبي. إذ إنَّ الأمر من وجهة نظر كروس وكينغ يتحدَّث عن فرق واضح، ويتعلّق إلى حدٍّ كبير فيما إذا كانا يؤيّدان هذه القضية الحالية بالذات. وكان كينغ قد دافع عن انخراطه مع الجيش الجمهوري الإيرلندي على هذه الشروط على نحو دقيق، حيث يقول: "أنا أتفهم الأمر عندما يعتقد الناس-الذين حصلوا على معلومات خاطئة-أنَّ هذا الموضوع يُعدُّ موازياً للأمر الآخر"، ويضيف: "الحقيقة هي أنَّ الجيش الجمهوري الإيرلندي لم يقم أبداً بمهاجمة الولايات المتحدة، وإنَّ ولائي هو للولايات المتحدة الأمريكية"[26].

وفي فقرة أخرى، تحدَّث كروس مع توم بارفيلد Tom Barfield-وهو محقِّق خاص-الذي حثَّه على عدم الاكتراث حول الاعتقاد بوجود تشابه بين الجماعتين، إذ أشار بارفيلد مُطمْئِناً إلى أنَّ "المجتمع الإسلامي هو المجتمع الأكثر تطرّفاً والأكثر إرهاباً من أي مجموعة أخرى من المهاجرين الذين قدموا إلى هذه البلاد"، وأضاف قائلاً: "لا توجد برأيي مقارنة بين تنظيم القاعدة وبين الجيش الجمهوري الإيرلندي.

وخلاصة القول هي أنَّ الجيش الجمهوري الإيرلندي لم يفعل شيئاً ضد الولايات المتحدة، كما أنَّ معظم الأيرلنديين هنا الذين كانوا يؤيدون الجيش الجمهوري الإيرلندي يرون أنفسهم بأنهم موالون للولايات المتحدة على نحو كامل، وصدِّقوني فإنَّ هؤلاء المسلمين ليسوا كذلك، وقد أثبتت مأساة ١١ سبتمبر ذلك الأمر"[27].

* * *

لقد خطَّ كينغ روايته لتكون بمثابة الأسس التي يحتاجها في جلسات الاستماع الخاصة بالكونغرس، فقد قام بتمثيل المشاهد نفسها التي صاغها لقرّائه. وقد وضع ثقته بالمسؤولين عن تطبيق القانون وبالمحقِّقين أيضاً. وأشارت المعلومات التي تلقّاها-كما حدث تماماً مع بطل روايته كروس-عن وجود تهديد وشيك. وكان ذلك من الأمور التي كان يذكِّر بها منتقديه بانتظام، حيث أشار بتحفّظ قائلاً: "إنني أتحدّث مع الشرطة على الدوام"، وأضاف: "إنني العضو الوحيد في الكونغرس الذي يعمل في لجنة الأمن القومي وفي لجنة الاستخبارات، ولذلك فإنني أحصل على تقارير موجزة باستمرار من الخارج إلى الداخل وبالعكس"[28]. وقد أخبروه بأنَّ " تطرُّف المسلمين الأمريكيين هو أمرٌ يدعو إلى القلق".

وعلى الرغم من أن جلسات الاستماع في الكونغرس الخاصة بـِ كينغ تعتمد على شهادة وكلاء مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، وضباط الشرطة، والمسؤولين عن تطبيق القانون الآخرين، الذين من المفترض أنهم قد أكَّدوا الطبيعة غير المتعاونة وحتى المشاكسة التي يُظهرها المسلمون الأمريكيون، إلاّ أنَّها كانت غائبة من محاكمته الصوريَّة. وبدلاً من اعتماد اللجنة على مصادر كينغ وتقدّم إلى الجمهور ذات المعلومات التي حصل عليها كينغ منهم بالسر، فقد استمعت لجنة كينغ عوضاً عن ذلك من شهود مسلمين، على غرار زهدي جاسر، الذين قام باختيارهم بهدف تأكيد

شكوكه، حيث يقول:" أعتقد أنَّ الأمر سيكون له تأثيرٌ أكبر على الشعب الأمريكي عندما يرون أناساً من أتباع الدين الإسلامي ومن أصول عربية وهم يقدِّمون شهادتهم حول هذا الموضوع"[29]. وأشار كينغ أنه إذا قمنا بدعوة مكتب التحقيقات الفيدرالي، فإنهم سيذكرون بأنَّ المجتمع الإسلامي يتعاون معهم. ولم يكن هناك أيّ مكان لطرح أدلّة من شأنها أن تقوِّض الاستنتاجات التي توصَّل لها مسبقاً، حيث أشار كينغ بانزعاج قائلاً: "أعلم أنه لا يمكنهم ذلك"[30].

ولكنهم فعلوا، والدليل على ذلك كان شخصاً يُدعى كريغ مونتيل Craig Monteilh، وهو رجل أصلع في منتصف العمر وأحد المدانين السابقين، الذي تظاهر بأنه مسلم لمدة ١٥ شهراً في أحد المساجد في جنوب ولاية كاليفورنيا.

وكان مونتيل قد خرج لتوِّه من السجن في العام ٢٠٠٦ بعد أن أمضى حكماً بتهمة التزوير وتحرير شيكات بدون رصيد، حيث اتّصل به مكتب العمل المشترك لمكافحة الإرهاب في مقاطعة أورانج Orange County، الذي قام بإرسال اثنين من وكلاء مكتب التحقيقات الفيدرالي ليجتمعا معه في مقهى ستاربكس خارج مدينة كوستا ميسا Costa Mesa. وقد كان هناك في المنطقة مركز ديني، وهو المركز الإسلامي في مدينة إيرفاين Irvine، الذي كانت تدور حوله الشكوك بأنه يعمل على إيواء مصلّين من الإرهابيين، وكانت الحكومة بحاجة لإيجاد طريقة تمكنّها من التسلل إلى داخل المركز[31]. وقد أخبر أحد الوكلاء مونتيل بأنّ "الإسلام يُشكِّل تهديداً لأمننا الوطني"[32]. وكان الوكلاء يعتقدون بأنَّ مرتادي المركز لن يقوموا بتسليم أفراد رعيّتهم، وأنَّ الطريقة الوحيدة للقبض على الأشرار منهم تكمن في اختراق صفوفهم وكشف نواياهم العنيفة من الداخل. ولكي يتمكّنوا من تحقيق هذا الأمر؛ قام الوكلاء بطلب المساعدة من مونتيل.

وكان مونتيل-الذي حملت مَهمَّته اسم "الوحي" Oracle، قد خدم في عدة عمليات تصيّد سرِّية أخرى لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي، كما نال إعجاب مديريه الحكوميين. وعندما قام بذكر أسماء عدد من قادة الشرق الأوسط دون تردد وعن ظهر قلب، يتذكر المجرم الذي تحوَّل إلى جاسوس كيف "نظر [المحقِّقون] إلى بعضهم بعضاً وقالوا له 'لقد نجحت على الفور. سنقوم بأخذ المعلومات التي تعرفها ونضعها مع أشياء أخرى، وسنجعل منك سلاحاً للمعلومات'. وأجبت بأنني 'موافق'".

والتحق مونتيل بمركز تدريبي، حيث قاموا بتحويل هويته. وهناك، ألمَّ باللغة العربية وحفظ آيات من القرآن الكريم، كما أخذ دورات تنشيطية حول الدين الإسلامي. وعلاوة على ذلك، فقد جرى تغيير اسمه وخلفيته العرقية، حيث أصبح اسمه فاروق عزيز، ويتحدَّر من أصل سوري فرنسي. وقد أشار إلى أنّ "الخطة كانت ترمي إلى دخول 'المركز الإسلامي في إيرفاين' ISOI وأقوم بالتنفيذ على نحو بطيء، حيث أبدأ بالملابس الغربية ، والبدلات الإيطالية ، ومن خلال رحلتي التعليمية أنزع عني كل [الملابس] الغربية قاصداً وجهة المسلمين ... وبالنتيجة أجعل هذا التحول يبدو حقيقيّاً قدر المستطاع"[33]. لقد كان تحوّله حقيقيّاً لدرجة أنَّ وكلاء مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI قد سمحوا له بممارسة الجنس مع النساء المسلمات وتسجيل ما يدور بينهم وهم في السرير، حيث يقول مونتيل لقد "قالوا لي أنّه إذا كان هذا الأمر من شأنه أن يعزِّز عمل الاستخبارات، فلا بأس في ممارسة الجنس"[34].

وفي نهاية المطاف، أصبح المقيم في مدينة إيرفاين البالغ من العمر ٤٨ عاماً، ومدرِّب اللياقة البدنية السابق، يرتدي الثوب الأبيض ويضع الطاقية، وهي القبعة القصيرة المستديرة والمحبوكة التي يرتديها بعض الرجال المسلمين الملتزمين. وقد جرى زرع الكاميرات في أزرار سترته، بالإضافة إلى وضع جهاز تسجيل في مفاتيح سيارته.

ومع وصول تكاليف العملية إلى ما يقرب من ٢٠٠,٠٠٠ دولار، بدأت مهمَّة مونتيل التي أُطلق عليها اسم "عملية فليكس" Operation Flex. وأصبح مونتيل يتردّد على الصالة الرياضية المحلية وعلى صلاة الجماعة الأسبوعية، وكانت أحاديثه وتفاعلاته التي تدور مع المسلمين المطمئنين تذهب سرّاً إلى وكلائه الفيدراليين. وعلى أية حال، سرعان ما اتَّخذ خطابه، منعطفاً غريباً، إذ أشار أحد الطلاب قائلاً: "بدأنا نسمعه وهو يذكر أشياء غريبة". وأضاف: "لقد كان يقترب من أحد أصدقائي ويقول 'إنَّه لأمر جيد أيها الشبّان أنكم تستعدّون للجهاد'"[35]. وعندما أبلغ مونتيل مجموعة من الشبّان أنه قادر على تأمين الأسلحة، وأنه ينبغي عليهم أن يقوموا بتفجير أحد مراكز التسوق، تحوّلت الشكوك البسيطة تجاه هذا المعتنق الجديد للدين لتصبح حالة من الذعر الهائل. وذكر حسام عيلوش-المدير التنفيذي لفرع منظمة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية في لوس أنجلوس CAIR-أنّ الطلاب كانوا "مقتنعين بأنَّ هذا الرجل إرهابي"[36]. واستجاب القيِّمون على المسجد وحصلوا على أمر تقييدي ضدَّ مونتيل، وللمفارقة، فقد قاموا بالإبلاغ عن تخاريفه العنيفة لذات المنظمة التي زرعته هناك في المقام الأول، وهي: مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI.

* * *

كان من أحد الأسباب المحتملة التي جعلت المسؤولين عن تطبيق القانون غير حريصين على مناقشة ضعف التعاون المزعوم من جهة المجتمع المسلم الأمريكي في جلسات الاستماع التي ترأسها كينغ، هو أنّ المسلمين، وعلى النقيض تماماً، كانوا فعّالين في إحباط خطط لإرهابيين محتملين. ومن أحد الأمثلة على ذلك هو ما جرى في مدينة إيرفاين في كاليفورنيا. وفي شهر مايو (أيار) ٢٠١٠، جرى إحباط تفجير في ساحة تايمز سكوير في مدينة نيويورك، عندما قام مهاجر مسلم يعمل كبائع طعام

بإخطار الشرطة القريبة عن وجود سيارة مشبوهة. وبعد خمسة أشهر، جرى التدخّل في محاولة تفجير في شبكة مواصلات المترو metro في العاصمة واشنطن، عندما قام المجتمع الإسلامي بتزويد المعنيِّين بالتفاصيل التي أدَّت إلى اعتقال المشتبه به. وفي شهر ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٩، أدَّى جهد تعاوني مستمر بين مكتب التحقيقات الفيدرالي ومنظمة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) إلى القبض على خمسة من المسلمين الأمريكيين في باكستان الذين اشتُبه في محاولتهم للانضمام إلى القوات المتطرّفة المناهضة للولايات المتحدة.

ومن الأمور الأخرى التي أدَّت إلى تعقيد مزاعم كينغ (الذي تباهى في إحدى المناسبات أمام الناقد التلفزيوني شون هانيتي أنَّ ٨٥ في المئة من المساجد "يحكمها المتطرفون") كانت دراسة نشرتها جامعة كارولاينا الشمالية في مدينة تشابل هيل وجامعة ديوك Duke University قبل ثلاثة أسابيع فقط من إجراء كينغ جلسة الاستماع الأولى. وأفادت الدراسة أنه أكثر من ثلث الهجمات الإرهابية العنيفة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ٢٠٠١ -أي ٤٨ حالة من أصل ١٢١-كان للمسلمين الأمريكيين دور في تزويد ضباط تطبيق القانون بالمعلومات حول ما يُحاك من مؤامرات[37]. وأشار مؤلِّف التقرير تشارلز كيرزمان Charles Kurzman إلى أنّ ١٥,٠٠٠ شخصاً يتعرضون للقتل في الولايات المتحدة كل عام ، مع العلم أنَّ الاعتداءات الإرهابية التي نفَّذها مسلمون تسبَّبت بمقتل عدد قليل جدّاً من الأشخاص منذ أحداث ٩/١١، أي جزء صغير للغاية. وأضاف قائلاً: إنَّ أعداد "المسلمين الأمريكيين الذين انخرطوا في مؤامرات إرهابية خلال العقد الماضي كانت أقل من ٢٠٠ شخص، وذلك من بين ما يقارب مليوني شخص تقريباً. ولا شك أنَّ هذا الأمر يشكِّل مشكلة خطيرة، إلاّ أنّها ليست تلك المشكلة التي تستوجب قلقاً عامّاً"[38].

وفي حين كان بيتر كينغ يتردَّد في الكشف عن أسماء المسؤولين عن تطبيق القانون الذين أعربوا سرّاً عن مخاوفهم حيال تعاون المسلمين الأمريكيين، كان هناك كثير من الخبراء البارزين في الأمن القومي، والدبلوماسيين، وضباط الشرطة، والموظفين الفيدراليين الذين ذكروا رواية مختلفة. وعلى سبيل المثال، أشار المدَّعي العام الأمريكي إيريك هولدير Eric Holder في ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٠ إلى أنَّ "تعاون المجتمعات الأمريكية الإسلامية والعربية كان ضرورياً للغاية في تحديد، ومنع التهديدات الإرهابية"[39]. وكان مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي روبرت مولر قد أخبر اللجنة القضائية في مجلس النواب في العام ٢٠٠٨ أن "عدداً كثيراً من الحالات لدينا جاءت نتيجة لتعاون المجتمع الإسلامي في الولايات المتحدة". وأشار بعد عام واحد إلى أنَّ "الجالية المسلمة كانت داعمة على نحو كبير لمكتب التحقيقات الفيدرالي منذ ١١ سبتمبر". (كان مولر قد شهد-متعجِّباً-أمام اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ في العام ٢٠٠٩ بشأن تسلل كريغ مونتيل إلى المركز الإسلامي في مدينة إيرفاين قائلاً: "إننا لا نركِّز على المؤسسات، وإنّما نركز على الأفراد. وسأقول عموماً إذا كانت هناك أدلة أو معلومات عن قيام فرد أو أفراد بأنشطة غير قانونية في المؤسسات الدينية، مع وجود الموافقة المناسبة من مستويات رفيعة، فإننا سنقوم بإجراء أنشطة تتعلق بالتحقيق، بغض النظر عن الدين"). وأكَّد مايكل ليتر Michael Leiter مدير "المركز القومي لمكافحة الإرهاب"، أنَّ " كثيراً من البلاغات الواردة التي أدَّت إلى الكشف عن المؤامرات الإرهابية النشطة في الولايات المتحدة كان مصدرها الجالية المسلمة"[40].

وعلى الرغم من الحقيقة أنَّ المجتمع الإسلامي قد تعاون مع وكالات تطبيق القانون، إلاّ أنّ المسلمين الأمريكيين كان لديهم سبب وجيه لتبنِّي سوء النية وعدم

الثقة تجاه تلك الوكالات. وقد كان المخطط التخريبي لمكتب التحقيقات الفيدرالي في كاليفورنيا مجرد واحد من الأمثلة للنمط المتزايد لعمليات الحكومة السرِّية التي عملت على إرسال العملاء السرِّيين إلى الأحياء، والمجمَّعات السكنية، ودور العبادة؛ بهدف البحث عن معلومات تتعلَّق بالمناطق المتنامية للجالية الإسلامية.

وفي منطقة مانهاتن، قام قسم الشرطة المحلية بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية بإرسال أشخاص "فاسدين"، أو جواسيس، إلى مجتمعات الأقليات، واستخدام "متملِّقي المساجد"؛ بهدف تسجيل الخطب، والبحث عن أدلة تتعلّق بارتكاب المخالفات. وعن طريق التمحيص في بيانات الإحصائيات السكانية، أرسل الضباط إلى الأحياء الكثيفة عرقيّاً دوريات من الشرطة التي تنتمي إلى ذات الخلفية العرقيَّة، حيث أشار أحد التقارير إلى "تسلل الضباط الباكستانيين الأمريكيين إلى الأحياء الباكستانية، كما ركَّز الفلسطينيون على الأحياء الفلسطينية، حيث كانوا يتسكّعون في حانات الشيشة والمقاهي، وهم يراقبون بهدوء المجتمع من حولهم". وسرعان ما أصبحت محلات بيع الكتب، والمتاجر الغذائية الخاصة بالأجانب، وصالونات الشعر، والمكتبات، من الأماكن التي يتردَّد عليها رجال الشرطة بحيث يعملون وكأنهم كاميرات بَشريّة وهم يُركِّزون على السكان المسلمين. وذكر ضابط شرطة بنجلاديشي قائلاً: لقد "طلبوا مني أن أتصرف كرجل مدنيّ، وأن أتسكَّع في الحي وأقوم بجمع المعلومات"[41].

وقد أوصت شرطة نيويورك أيضاً بزيادة المراقبة على آلاف من المسلمين الشيعة استناداً فقط إلى دينهم. وكانت وثيقة مسرَّبة للجمهور قد أظهرت المخاوف داخل الحكومة من الإرهابيين الإيرانيِّين. وكان المحلِّلون قد قاموا بإدراج عشرات المساجد الممتدة من ولاية كونيتيكت Connecticut إلى ضواحي مدينة فيلادلفيا على أنّها أهداف محتملة[42]. وبالإضافة إلى ذلك، اكتشفت وكالة أسوشيتد برس Associated Press في

أوائل العام ٢٠١٢ أنَّ شرطة نيويورك قد اتّخذت خطوة إضافية أكبر حيال برنامج التجسّس الداخلي، إذ قامت بالتركيز على الجامعات في جميع أنحاء المنطقة الشمالية الشرقية، حيث كانوا يُفتِّشون يوميّاً من خلال المواقع الإلكترونية الخاصة بمجموعات الطلبة المسلمين، ويتتبَّعون أنشطتهم في الجامعات. وكان الطلاب من جامعات ييل Yale، وراتجرز Rutgers، وجامعة بنسلفانيا، بالإضافة إلى ١٣ جامعة أخرى، يمارسون حياتهم اليومية على مرأى من العيون الساهرة لضباط الشرطة. وفي إحدى المناسبات من العام ٢٠٠٨، قام ضابط سرِّي بمرافقة مجموعة من الطلاب تتألَّف من ١٨ طالباً مسلماً من كلية "سيتي كوليدج" في مدينة نيويورك في رحلة لركوب القوارب، حيث دوَّن أسماء الطلاب الذين كانوا يقومون بأدوار قيادية في المجموعة. وجاء في التقرير أنَّه "وبالإضافة إلى النشاطات المنتظمة المقرَّرة (ركوب القوارب)، فقد كان الطلاب يصلّون على الأقل أربع مرات في اليوم، وكانت معظم أحاديثهم تتناول العقيدة الإسلامية، وكانت تنضوي على الالتزام الديني"[43]. وفي العام الماضي، أي ٢٠٠٧، قامت شرطة نيويورك بصياغة تقرير عن التركيبة السكانية في المجتمعات الإسلامية في مدينة نيوارك Newark بولاية نيو جيرسي، يحدِّد بوساطة الصور والخرائط الأحياء، والمساجد، ومحلات المواد الغذائية في المدينة.

وقال مفوض شرطة نيويورك راي كيلي Ray Kelly "إننا نفعل ما نعتقده واجبنا لحماية المدينة"[44]. لقد كان كيلي وبيتر كينغ صديقين مقرّبين، وكان كينغ يحب أن يذكِّر الجميع تقريباً بهذا الأمر–وخاصة أولئك الناس الذين لديهم مشكلة مع جلسات الاستماع الخاصة بالتطرّف. وكان يقول "لقد عرفت راي كيلي لفترة طويلة"، ويضيف: "إنني بالتأكيد لم أكن لأمضي قُدماً في هذه الجلسات في حال اعتقدت أنَّ راي كيلي لا يوافقني الرأي"[45].

وكان كيلي أيضاً على معرفة بالشاهد النجم في جلسات الاستماع الخاصة بـ بيتر كينغ، وهو زهدي جاسر. وفي الواقع، كان الرجلان قد تعاونا معاً في فيلم "الجهاد الثالث" *The Third Jihad*، وهو الفيلم المتطرِّف المعادي للمسلمين المكمِّل لفيلم "الهوس" *Obsession* الذي قامت بإنتاجه مجموعة الاستيطان الإسرائيلية آيش ها توراه "نار التوراة" Aish HaTorah. وكان الفيلم قد استُخدم كجزء من سلسلة التدريب التي أجرتها شرطة نيويورك، حيث جرى عرض الفيلم لما يقرب من ١٥٠٠ ضابط الذين حضروا دروساً في مكافحة الإرهاب، وقد استمرَّ هذا الأمر لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أشهر[46]. أما الأمر الذي أثار الدهشة، فهو ظهور كيلي في مقابلة مدَّتها ٢٠ ثانية بين صور الانفجارات وصور لرايات المسلَّحين التي كانت تحلِّق فوق البيت الأبيض. وكان كيلي قد نفى تورُّطه في البداية، وأصرَّ نائبه بول جيه براون .Paul J Browne على أنَّ المقطع جاء من بين مجموعة من التسجيلات المخزَّنة التي تحتفظ بها شرطة نيويورك للاستخدام العام. كما أشار إلى أنَّ كيلي بكل تأكيد لم يشارك في أي فيلم يُظهر المسلمين بمثل هذه الصورة الفظيعة، إذ إنّ شرطة نيويورك، كما هو معروف، كانت تتمتع دائماً بعلاقة إيجابية مع المجتمع الإسلامي.

وعندما قدَّم منتج الفيلم رافائيل شور Raphael Shore الأدلَّة التي تظهر أنَّ كيلي قد قام فعلاً بإجراء ذلك الحديث المسجَّل، اضطُرَّ كيلي وبراون للاعتراف بذلك. واعترف براون على مضض بدليل شور قائلاً: "إنه على حق"، وأضاف: "لقد أوصيت في شهر فبراير(شباط) ٢٠٠٧ أن يقوم المفوَّض كيلي بإجراء مقابلات معهم "[47].

وكانت شرطة نيويورك قد خطَّطت ونفَّذت عملية سرِّية في مدينة نيويورك تهدف إلى التخلص من المسلمين الذين يُشتبه بأنّهم من الأمريكيين الخوَنة، وربما إرهابيين محتملين. ولم تكن تلك الشكوك تستند إلى حقائق، وإنَّما عبارة عن فيلم

دعائي شارك فيه الرجل المسؤول عن العملية، وهو المفوض كيلي، وجرى توزيعه على وكلاء في قسم الشرطة، وجاء تمويل الفيلم من مجموعة دينية صهيونية في إسرائيل، ورواه الرجل الذي شكَّل المحور في جلسات الاستماع في الكونغرس المعادية للمسلمين التي أجراها بيتر كينغ. ولم يكن هناك مثال أفضل على النبوءات التي تُثبت صحَّتها.

لقد كان تأثير صناعة الخوف من الإسلام يتجاوز شرطة مدينة نيويورك، حيث امتدَّ إلى هيئات تطبيق القانون الفيدرالية التي كانت تمتلك أيضاً مخابئ سرِّية تحوي أفلام الرعب، وروايات الخوف، والمواد المخيفة الأخرى المعادية للمسلمين في خزانات خاصة بها. وفي حين أشارت فاليري كابروني Valerie Caproni، المستشارة العامة لمكتب التحقيقات الفيدرالي، إلى أنَّ وكلاء مكتب التحقيقات لم يقوموا بتحرِّي المعلومات في المساجد أو الأحياء بسبب أنَّ هذه العمليات تنتهك الحريات المدنية، إلاّ أنَّها لم تعترف بالحجم الهائل للمناهج التي كانت تُستخدم في تدريب الوكلاء الجدد في مكتب التحقيقات. ولم يكتف مكتب التحقيقات بإرسال الجواسيس إلى المساجد المحلية على أساس الاشتباه بوجود التطرف الإسلامي، بل إنَّهم قاموا أيضاً –معتمدين على نبوءة متوقع حدوثها– بإنتاج مواد تدريبية للشبّان المسلَّحين، بحيث تُظهر الطبيعة العنيفة والمتخلِّفة التي يُزعم وجودها عند "عامَّة المسلمين".

وكان المجنَّدون الجدد يشاهدون في أماكن التدريب التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي في مدينة كوانتيكو بولاية فيرجينيا مقاطع تشير إلى أنَّه كلَّما كان الشخص المسلم "متديِّناً" أكثر، أصبح من المحتمل أن يكون أكثر "عنفاً". وقد أضاف عرضٌ تعليميٌ موضحاً أنَّ "شنَّ أيَّ حرب ضد الكفَّار هو أمرٌ مبرَّرٌ بموجب الشرع الإسلامي"، وأنَّه "لا يمكن أن تحدث هناك عملية اعتدال إذا ما استمرَّ الناس

ينظرون إلى القـرآن على أنَّه كلمة الله التي لا تقبل التغيير". وقد جـرى فـي أحـد المنشورات -بعنوان "اعتبارات التشدُّد" Militancy Considerations-قياس التقوى للديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وذلك باستخدام رسمٍ بيانيٍّ باللونين الأسود والأبيض يوضح كيف أنّه مع مرور الوقت تحوَّل أتباع التوراة والإنجيل من حالة "العنف" إلى "اللاعنف"، في حين أنَّ أتباع القرآن الكريم لم يقوموا بهذا التحوّل، حيث بقي مسارهم أُفُقيّاً، مشيراً إلى أنَّ "عملية الاعتدال عند المسلمين لم تحدث"[48]. ووصف عرض تقديمي باستخدام الباوربوينت PowerPoint تحت عنوان "مواضيع ودوافع إستراتيجية في الشريعة الإسلامية" النبي محمد على أنَّه "رجل أعمال" و"زعيم طائفة"، أدّت طموحاته السياسية في كثير من الأحيان إلى "اغتيال النقّاد وإعدامهم"، وإلى "استخدام التعذيب بهدف انتزاع المعلومات"[49]. وعن طريق توزيع ملفٍّ لدورة توجيهية، أشارت "فرق العمل المشتركة لمكافحة الإرهاب" Joint Terrorism taskforces أنَّ الأمّة السنِّيّة-وهي أكبر فئة في الإسلام-قد "ولَّدت منظّمات إرهابية متطرّفة وأصولية كثيرة ومتنوعة"، وأنَّ أتباع هذه الفئة "يسعون لجعل الأمَّة السنّية الإسلامية تهيمن على العالم، لكي يُثبتوا التأكيد القرآني الرئيس أنَّه لا يوجد نظام حكومي أو ديني على كوكب الأرض يمكنه أن يضاهي صحَّة القرآن الكريم وفعاليته في تمهيد الطريق إلى الله عز وجل". وقد وصلت تلك المعلومات إلى ما يقرب من ٥٠٠٠ من الوكلاء الذين أُسندت إليهم مهمَّة وقف الإرهاب[50].

وبالإضافة إلى الكتيِّبات التدريبية، فقد كانت المكتبة في مدينة كوانتيكو تزخر بالكتب التي تعود لمؤلِّفين معروفين بخطبهم الهجومية المعادية للمسلمين. وكان من بين الكتب التي قام باستعارتها وكلاء مكتب التحقيقات: كتاب للمؤلف دانيال

بايبس عنوانه "الإسلام المحُارب يصل أمريكا" *Militant Islam Reaches America*، وكتاب للمؤلف سبنسر عنوانه "تقدُّم الجنود المسلمين: كيف يستمر الجهاد بتهديد أمريكا والغرب" *Onward Muslim Soldiers: How Jihad Still Threatens America and the West*. كما أُدرج أيضاً كتابا سبنسر اللذين عنوانهما: "الدليل غير الصحيح سياسيّاً عن الإسلام" *Politically Incorrect Guide to Islam*، و"حقيقة محمّد مؤسِّس الدين الأكثر تعصّباً في العالم" *The Truth about Muhammad: Founder of the World's Most Intolerant Religion* ليكونا في قائمة الكتب التي كان المدرّبون ينصحون طلابهم بقراءتها[51].

وفي شهر يوليو (تموز) ٢٠١٠، حضر سبنسر أمام "فريق مكافحة الإرهاب" Terrorism Task Force في مدينة تايدووتر Tidewater في ولاية فيرجينيا؛ بهدف تقديم ما أسماه "ندوتين مدَّتهما ساعتان حول نظام اعتقاد الجهاديين الإسلاميين"[52]. ولم تكن تلك المرّة الأولى التي يظهر فيها سبنسر أمام ضباط تنفيذ القانون الفيدراليين، حيث دُعي سبنسر أيضاً للتحدث عن طريق "القيادة المركزية للولايات المتحدة" US Central Command، و" مجموعة الحرب غير المتماثلة التابعة للجيش" Asymmetrical Warfare Group، بالإضافة إلى منظَّمات أخرى تحت إشراف أجهزة الاستخبارات. وردّاً على شكوى تقدَّمت بها إحدى مجموعات الحقوق المدنية التي احتجّت على تبنّي مكتب التحقيقات الفيدرالي علَناً لمثل هذه الشخصيّة المثيرة للجدل، فقد ردَّ المكتب قائلاً: "إنَّ السعي وراء الحصول على معلومات وفيرة حول مجموعة واسعة من المواضيع هو أمر مهم في فهم بيئة الإرهاب في عصرنا الحالي"[53].

وكان من بين الآخرين الذين مَثَلوا أمام "فريق مكافحة الإرهاب" شخص يُدعى ويليام جوثروب William Gawthrop–وهو محلِّل متخصّصٌ متعاون مع مكتب

التحقيقات الفيدرالي في شؤون مكافحة الإرهاب–الذي كان يقف أمام حشد صغير من وكلاء مكتب التحقيقات داخل غرفة مُعتمة في مدينة نيويورك. وكان هذا الشخص مسؤولاً عن توزيع الكتيِّبات التدريبة المعادية للمسلمين لصالح مكتب التحقيقات. وقد قام بتوجيه رسالة استفزازية أخرى عندما أخبر وكلاء مكتب التحقيقات أنَّ الحرب على تنظيم القاعدة تُعدُّ "خسارة" بالمقارنة مع التهديد الذي يشكِّله الإسلام نفسه، وأنَّ ملاحقة الدين–أي الرسول، والكتاب المقدس (القرآن)، والقادة–هو الحل. وذكر قائلاً: "إذا كنتم تتذكرون حرب النجوم، وعمود التهوية ذاك الذي يغوص إلى أعماق نجمة الموت، حيث أطلقوا النار على طوربيد هناك"، وأضاف: "هذا الأمر يجعلنا عُرضة للخطر". وأضاء جوثروب مؤشِّره الليزري فوق عرض الشرائح وهو يركِّز على عبارات "الكتب المقدّسة" و"رجال الدين"[54]، والتفت إلى مجموعة من وكلاء مكتب التحقيقات قائلاً: "علينا أن نركِّز على هذه القضايا".

وقد قامت وزارة العدل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مباشرة باعتقال المئات من المهاجرين غير الشرعيين، إذ كان عددهم في الواقع أكثر من ٧٠٠ شخص وكانوا جميعهم من المسلمين. وقد جرى سجنهم لمدة أسبوعين، عندما كانت السلطات تبحث عن أدلّة، كما أُرسل معظمهم إلى بلدانهم الأصلية. وكان ثلاثة من أصل أربعة منهم من ولاية نيويورك أو نيوجرسي، وكان كثير منهم من أصل باكستاني. وأفاد أحد التقارير أنّ ٨٤ شخصاً قد أُخضعوا إلى حالة احتجاز شديدة لمدة ٢٣ ساعة، وجرى تقييد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل. ولفت التقرير ذاته الانتباه إلى عملية الاحتجاز "القاسية وغير المبررة" على الرغم من عدم وجود أي دليل على وجود علاقات إرهابية، بالإضافة إلى انتهاج "أسلوب من الاعتداء الجسدي واللفظي". وكان بعضهم قد جرى

اعتقاله عند إشارات المرور، وجرى تبليغ السلطات عن آخرين لمجرد كونهم مسلمين ممن كانوا "غير منتظمين في مواعيدهم"[55].

وأشار كريغ مونتيل الذي عمل جاسوساً لصالح مكتب التحقيقات على هيئة مسلم مزيَّف في جنوب كاليفورنيا قائلاً: "القضية كلها تتعلّق بالخديعة ... إنني أعرف اللعبة، وأعرف كيف تدور. إنها مجرد دعابة، دعابة حقّاً، إذ لا يوجد هناك ملاحقة حقيقية. والأمور محدَّدة ... وبسبب ذلك؛ فإنّ المجتمع الإسلامي لن يثق مرة أخرى بمكتب التحقيقات الفيدرالي على الإطلاق"[56].

وفي شهر مارس (آذار) ٢٠١٢، ذكر رئيس فرع مكتب التحقيقات الفيدرالي في مدينة نيوارك Newark في ولاية نيوجرسي أنَّ برنامج قسم الشرطة في مدينة نيويورك الخاص بمراقبة المسلمين هو الذي تسبَّب بصعوبات كبيرة للمكتب من جهة جمع معلومات استخباراتية لمكافحة الإرهاب. "إنّ الضجّة التي نعيشها الآن والتي تحدث في ولاية نيوجرسي هي أننا بدأنا نلمس قصوراً في التعاون، إذ إنَّ الناس أصبحوا قلقين من وجود من يلاحقهم، كما أنّهم متخوّفون من انعدام ثقتهم بهيئات تطبيق القانون"، هكذا أشار مايكل وورد Michael Ward الوكيل الخاص المكلَّف في مكتب التحقيقات الفيدرالي في مدينة نيوارك، وقد تجاهل الحقيقة بأنَّ وكالته نفسها كانت متورطة للغاية بالقيام بالممارسات ذاتها.

* * *

في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) من العام ١٩٦٧، أي بعد أسبوعين فقط من قيام "لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاطات غير الأمريكية" بالتحقيق مع مواطنين أمريكيين من السود، وحاولت ربط أعمال الشغب العرقية في المناطق الحضرية بتسلُّل الشيوعية، حضر النائب وليام تَك William Tuck –وهو عضو الكونغرس عن ولاية

فيرجينيا المتقدّم بالعمر الذي أشرف على سير الجلسات، إلى معهد ويليام وماري College of William and Mary الذي كان هو أحد خرّيجيه، حيث كانت جمعية الخريجين هناك تُقيم احتفالاً لها. وبما أنَّ تَك كان قد تخرَّج من كلية الحقوق في العام ١٩٤٨، فقد كان المناخ عزيزاً ومألوفاً له على حد سواء، وتذكَّر باعتزاز في وقت لاحق قائلاً: "لقد كان مكاناً رائعاً وجذّاباً للغاية"[57].

وكان حشد يتألّف من حوالي ٣,٠٠٠ شخص قد تجمَّعوا عندما كانت الجمعية تحتفل بمناسبة الذكرى السنوية الـ ١٢٥. وكان المهرجان عبارة عن احتفالية عطلة نهاية الأسبوع لنشاطات كرة القدم، والمسيرات، والعشاء، وحفل توزيع الجوائز. واتّضح فيما بعد أنّ حضور تَك للمهرجان كان بخصوص الجزء الأخير فقط، إذ جرى اختياره ليتسلَّم أهمَّ جائزة تُمنح لأحد الخرّيجين، وهي ميدالية المعهد للخرّيجين. وتُعدُّ هذه الميدالية الذهبية الكبيرة وسام شرفٍ تنافسي، وتُمنح على نحو تقليدي للأفراد والشخصيات البارزين تعبيراً عن الاعتراف بإنجازاتهم المهنية المتميزة، والقيادة، والتفاني في خدمة مجتمعهم. وفي حين أنَّ المدّة التي قضاها تَك في منصب الحاكم وفي مجلس النواب كانت تُعدُّ من الإنجازات المثيرة للإعجاب–الأمر الذي أشاد به المعهد على نحو يمكن تفهّمه كون تَك كان أحد خرّيجيه–إلاّ أنَّ معركة تَك ضدَّ الشيوعية خلال سير جلسات الاستماع في غرفة كانون Cannon ٣١١ في ذلك العام كانت–في نظر الكثيرين خلال تلك الفترة من الحرب الباردة والصراع العرقي– تُعدُّ الجهد الأعظم نُبلاً.

* * *

توجَّه زهدي جاسر في شهر يناير (كانون الثاني)، ٢٠٠٨ إلى فرع مكتب التحقيقات الفيدرالي في أريزونا الذي يقع على شارع إيست إنديانولا في مدينة

فينيكس Phoenix. وكانت المناسبة سعيدة بالنسبة له، إذ إنَّ المكتب كان سيعقد في تمام الساعة الواحدة ظهراً مؤتمراً صحفيّاً يعلنون فيه عن اختيارهم لجائزة المدير الخاصة بقادة خدمة المجتمع، وقد وقع اختيارهم عليه. وتُمنح هذه الجائزة للأفراد الذين يقدِّمون إسهامات كبيرة في مكافحة الجريمة، أو الإرهاب، أو العنف، وكان لهم تأثير قيادي في المجتمع. وعلى أية حال، فقد كان هذا الأمر بمثابة مقدِّمة من نوع ما، إذ إنَّه في شهر إبريل (نيسان) من العام ٢٠١٢، قام السيناتور الجمهوري ميتش ماكونيل Mitch McConnel بتعيين جاسر في "المفوّضية الأمريكية الخاصة بالحرّية الدينية الدولية"، وهي لجنة مراقبة تعمل على تقديم التوصيات إلى الكونغرس، والبيت الأبيض، ووزارة الخارجية.

* * *

صعدت بريجيت غابرييل إلى الميكروفون في حفل غداء خاص بجماعة "تحرَّكوا! لأجل أمريكا" ACT! For America في مبنى الحكومة الأمريكية (الكابيتول هيل) بهدف الإعلان عن أمر ما. وذكرت أنّ بيتر كينغ كان موجوداً بين الحضور وأنّه لا يستطيع البقاء لمدة طويلة. وكان موضوع ملاحقة المسلمين المتطرّفين لم يحقق تقدماً مرضياً، إلاّ أنه استطاع أن يتملَّص لفترة طويلة بما يكفي ليختلط لفترة وجيزة مع الأشخاص البارزين من جناح اليمين الموجودين بين الحضور، وذلك قبل عودته إلى مكتبه. وأشارت غابرييل قائلة: "إنَّ عضو الكونغرس كينغ موجود معنا الآن، ولكنه مضطرٌّ للعودة إلى الكابيتول هيل؛ بسبب انشغاله بموعد مُسبق. وإنّكم تعلمون كثرة انشغاله، إلاّ أنّه يشرِّفنا أن يكون بيننا هنا؛ لكي نتمكَّن من أن نقدِّم له 'جائزة الأمن القومي' للعام ٢٠١٠"[58]. واقترب كينغ من المنصة مبتسماً واحتضن غابرييل، وعندما طال عناقه لها، بدأ بقراءة اللوحة الزجاجية التي كان يُمسك بها. لقد كان الشخصان

يرتبطان بعلاقة وثيقة، إذ إنَّ مؤسِّسة جماعة "تحرَّكوا! لأجل أمريكا" كانت تقدِّم النصح لفترة من الزمن لعضو الكونغرس بشأن قضايا تتعلق بالإرهاب[59]. وبدأ كينغ بالقول: "أريدكم أن تعلموا، كما قلت في السابق، كم أقدّر العمل الذي تقوم به جماعة "تحرَّكوا! لأجل أمريكا" لصالح بلدنا، لأننا منخرطون في حرب وحشية ضد عدوٍّ همجي، عدوِّ الإرهاب الإسلامي ... وأريدك فقط أن تعلمي يا بريجيت، أنّني ما دمت أتلقّى الدعم من أهل الخير من أمثالك، فإننا سوف نكسب هذه الحرب"[60]. إلاّ أنّه وللأسف، فقد كانت ثمار أعمالهم تنضج لتتحوَّل إلى عرضٍ قاسٍ ودمويٍّ من العنف عبر البحر في أوروبا.

opelkandl.com